اليزيدية

نبذة تاريخية واجتماعية في اصلهم الديني

اصل اليزيدية الديني — والعراق مركز عباداتهم — قد اجهدت معالجته ذكاء باحثين كثيرين. فان عدد الذين تكلموا على اليزيدية كبير: رحالة ومحرّرو الجرائد علماء الآثار ومرسلون مستشرقون ومؤرخون غربا. ووطنيّون جدّوا في تعريف اخلاق وعوائد من ادّعوا بانهم عباد الشيطان واجتهدوا في اثارة سرّ اصلهم. منهم من اعتمدوا على نصوص دينية صحتها التاريخية هي موضوع جدال. لكن كل نتاج هذه البحوث يجب غربلتها فان الزؤان يجاور فيها القمح الجيد.

وبالحقيقة كم من النظريات الغريبة نُصبت فيها: عبادة بابل للشمس ثنويّة زرواستر. وثنيّة كردية اصلية، فرع من الفرق المسيحيّة، هذه بعض من الاحتمالات المعروضة عن اليزيدية. لكن هذه الآراء لا تعطينا الا تأويلات جزئيةوبالكاد. مع ذلك كان لا بدّ علينا ان نعرضها وان نردّها حتى ندخل في المسألة علميًا.

بالحقيقة نحن امام بدعة انسلّت من الاسلام. ولاثبات ذلك يُلاحظ سلوك اليزيدية الخارجي قبل التعمّق في معتقداتهم الدينية. — فالجوّ الاسلامي يظهر في الاسماء، في وضع التاريخ، في الامتناع عن رسم الوجه الانساني وفي الختانة وفي امور اخرى. نقدر ان نزيد على ذلك الذبائح واكرام القديسين. وايضاً تقليد للحج الى مكة حيث نجد رُتب اسلامية واصطلاحات عربية غريب وجودها عند اكراد. فان اليزيدية هم اكراد. ما عدا ذلك كل مناهجهم صوفيّة: فالقديسون المكرّمون هم صوفيّون معروفون، والطبقات الدينيّة صوفية هي، والصلوات وغيرها من النصوص الدينية لها صلة غريبة بكلام وبفكرة الصوفية. كذلك تبدو مشابهات مع الروحانيين «السكرى» من الاسلام في الآراء المتطرّفة فيما يخص بدء العالم والانسان والتجسد والتقمص ورجوع ابليس النهائي الى مقامه الاول. وهكذا يكون قد كفانا اكتشاف الحجار البارزة من بناء الاسلام وبشيعه حتى نجد اليزيدية بتمامها.

بقي علينا ان نثبت كيف اليزيدية ابتداء بقديس مسلم صحيح الشيخ عادي (نحو سنة ١٠٧٣—١١٦٢) توصلت اليزيدية الى اضاليلها الحاضرة ثم نجازها بالتدريج. فتح الطريق للبدعة ابن اخي مؤسس الزاوية شمس الدين حسن (١١٩٧—١٢١٦) . انقسم التابعون الى فرعين : احدهما ارتحل الى سورية ومصر (قرفة) وفيها استمرّ زماناً ليس قليلاً في الدين الاسلامي الحقيقي باسم «العادوية». الفرع الثاني بقي في ما بين النهرين وفي شرقيّ الدجلة وانه لم يفقد فقط كل مخالطة عقلية مع تلاميذ محمد لكنها اسرعت في الابتعاد منهم فيما يخص التعاليم الدينية ثم اصبحت اخيراً معادية لهم . ثم ابتداء من الجيل السابع عشر لم ينتج من المذابح الدورية الا توَرُّط اليزيدية اكثر فاكثر في ممارسات واعتقادات غريبة وسرّية.

الشروح الانتقادية العديدة المُفصّلة لا بدّ ان تقنع القارئ بان اليزيدية ولو انه لم يبق لهم اليوم شيء من الدين الاسلامي فليس امر سهل انكار اصلهم الاسلامي .

ترما بوا الدومنيكاني